الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

المركز الجامعي لميلة

معهد الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

المرجع: .....

صورة الرجل في المخيلة الأنثوية الأندلسية
-عصر ملوك الطوائف-

مذكرة معدة استكمالا لمتطلبات نيل شهادة الماستر

الشعبة: أدب عربي

التخصص:أدب قديم

إعداد الطالب:
سمير العابد

إشراف الأستاذ:
بشير عروس

السنة الجامعية: **2014/2013**

شكر وتقدير

بعد الإنتهاء من هذا العمل لايسعني إلا أن أتقدم بأسمى عبارات التقدير

والإحترام والإمتنان إلى الأستاذ المشرف "**بشير عروس**"

الذي لم يبخل علي بنصائحه وتوجيهاته

كما لا يفوتني أن أتقدم بالشكر الجزيل إلى الدكتور الفاضل"**عبد الحميد بوفاس**"والأستاذ"عبد **الحفيظ بورايو**"

اللذان لم يبخلا علي هما الآخران بإرشاداتهما وكذلك

الأستاذ الكريم" **سليم بوعجاجة** "

وكل الشكر إلى جميع أساتذة معهد الآداب واللغات دون أن أنسى

عمال مكتبة الجامعة.

فشكرا جزيلا لكم.

دعاء

اللهم علمنا ماينفعنا وإنفعنا بما

علمتنا وزدنا علما اللهم نسألك علما نافعا

ورزقا طيبا

وعملا متقبلايا رب إذا أعطيتنا نجحنا فلا تأخذ

تواضعنا وإذا أعطيتنا تواضعا فلا تأخذ إعتزازنا

بكرامتناوإذا أسأنا يارب إلى الناس

فإمنحنا شجاعة العفو

اللهم آميــن

بسم الله الرحمان الرحيم

إهداء

الحمد لله الذي يوافي نعمه ويكافئ المزيد، اللهم لك الحمد حتى ترضى ولك الحمد إذا رضيت ولك الحمد بعد الرضا، كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك

إلى من حملنا لها من المودة ما تفوق قلوبنا فأبت النفس إلا أن تهدي لها ثمرة الجهد وختام العمل

إلى من علمتني أن الحياة تجارب وكل نجاح بجهد صادق، وأن الحياة صبر وكل مشقة في الدنيا خبرة وماكنت لأحيا حتى تقر بي عيناها إلى أمي الحبيبة " **رشيدة**" حفظها الله.

إلى من كان سندي وعوني الذي جاهد وتعب من أجل أن يعلمني ويوصلني إلى اعلى الدرجات إلى من رباني وافتخر دائما بتربيته لي إلى الذي تسبق فرحته فرحتي لنجاحي إلى القنديل الذي من نوره استلهم دروسي من الحياة إلى أبي الحبيب " **رابح** " حفظه الله.

إلى عائلتي المميزة فردا فردا

إلى أخوتي: عبد الجليل وزوجته وأولاده آدم، جهاد، رماس.

عبد العالي وزوجته والكتكوتة أروى.

فاروق وزوجته والكتكوتة لجين،.

وعبد المالك.

إلى أخواتي :لمياء، أميرة، غادة.

إلى كل الأهل والأقارب.

إلى من ساعدني في العمل: حمزة، عبد الرحمان، حسام.عبد الغاني

إلى أصدقائي: علي ، رمزي، أنيس، أمين...

إلى كل من نساهم القلم ولم ينساهم القلب

سمير

مقدمة:

لطالما شدت الأنظار إلى الأدب الأندلسي، فهو مزيج مميز وليد ثقافتين مختلفتين، جذوره ضاربة في الأدب العربي، وأغصانه تعانق الثقافة الأندلسية المتحررة والمنفتحة على الحضارات الأخرى .

ولعل هذا التحرر التي شهدته بلاد الأندلس، سمح للمرأة الأندلسية من إخراج قريحتها الشعرية إلى الساحة الأدبية، وأصبحت بالتالي تضاهي الرجل في مختلف المجالات، مما سمح لها بتصوير الرجل، وإبداء أرائها ومشاعرها تجاهه.

وكان اختياري الأدب الأندلسي مجالا للدراسة، لأنني طالما أعجبت بامتداد العرب الجغرافي في بلاد الأندلس، وبصمودهم هناك، في أرض بعيدة وبيئة غريبة وإنشائهم حضارة امتدت مرحلة من الزمان وصلت إلى ثمانية قرون، ولا تزال آثارها ماثلة شاهدة.

واخترت أدب المرأة، لأحاول استجلاء جانب كثيرا ما خفي في ثنايا كتب الأخبار واستتر وراء تسلط الأدب الرسمي الذي طالما حفل بنتاج الرجال، مهملا هذا الإبداع الأنثوي.

ولما كان عصر ملوك الطوائف(422هـ/539هـ) مرحلة مهمة في تاريخ الأدب الأندلسي سمحت للمرأة بالمشاركة، وبالتفوق أحيانا؛فقد جعلني كل ذلك أسعى للإجابة عن أهم أسئلة هذا البحث: ما المكانة التي حققتها المرأة الأندلسية؟. وما المرتبة التي بلغها أدبها؟. وكيف كانت نظرتها إلى الرجل؟.

لتندرج محاولات الإجابة في هذا البحث الموسوم ب:"صورة الرجل في المخيلة الأنثوية الأندلسية" "في عصر ملوك الطوائف".

وعندما بدأت في لملمة التراث الشعري للمرأة الأندلسية، وجدته متناثرا في المصادر القديمة في بعض كتب الأدب، وتاريخ الأدب مثل: "الذخيرة" لأبن بسام، و"نفح الطيب" للمقري...وغيرها.

وفي بعض كتب التراجم مثل: "الصلة" لأبن بشكوال...،وفي بعض كتب المعاجم مثل: "معجم البلدان" لياقوت الحموي، وهذه الكتب معظمها تقوم بذكر اسمها، ولقبها، ونتف من أشعارها فحسب. غير أنه لا يقدم ترجمة وافية للشاعرة، وإنما يذكرهن "كي يعلم أن البراعة

في أهل الأندلس، كالغريزة لهم، حتى في نسائهم وصبيانهم"، ومصدر مثل: "الذخيرة "يذكر بعضا من شعر ولادة بنت المستكفي...

أما بالنسبة للبحوث الحديثة: دراسات في الأدب الأندلسي "لإحسان عباس "و"الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالأندلس "لمحمد مجيد السعيد" وقد كان بعضها جمعا وتأريخا وما تناول منها المرأة بالدراسة، فقد اعتبرها موضوعا للقول، لا قائلا، مثل:"صورة المرأة في الأدب الأندلسي" لمحمد صبحي أبو حسين.

وفي هذه المصادر الحديثة لم تحظ جميع الشاعرات باهتمام كبير، فقد يضم بعض الدارسين المحدثين شاعرات أكثر من غيرهن، وقد تحظى بعض سير الشاعرات المشهورات باهتمام أكبر من الاهتمام بشعرهن على غرار ما كان مع ولادة بنت المستكفي.

لذا وجدت أن شعر المرأة الأندلسية، وتوثيق سيرتها بالإضافة إلى دراسة هذا الشعر دراسة أدبية شاملة أمر هام، حتى تكتمل الصورة، ويأخذ شعر المرأة في الأندلس حقه من الدراسة والبحث والتقويم.

ولأجل بحث"صورة الرجل في المخيلة الأنثوية الأندلسية"في "عصر ملوك الطوائف" التجأت إلى توظيف بعض منجزات المنهج التاريخي في ترتيب المادة العلمية والأدبية،واعتمدت في دراستي على المنهج الوصفي التحليلي.فأتى هذا البحث في صورته النهائية مقسما إلى مدخل يتناول(المرأة في المجتمع الأندلسي)؛ ويتناول الفصل الأول(دور المرأة الأندلسية)مبرزا من خلاله الدور السياسي والاجتماعي، والاقتصادي الثقافي التي شغلته المرأة في الأندلس.

نزولا عند الفصل الثاني الذي يعرض(صور الرجل في المخيلة الأنثوية الأندلسية)، انطلاقا من صورة الأب، صورة السلطان، صورة الحبيب، وصولا للرجل الضُحَكَة). وكانت الخاتمة خلاصة لأهم نتائج البحث.

وقد يشفع لهذا البحث جرأته، في قلب ما كان يطرح في كثير من الدراسات التي عنيت بالمرأة، موضوعا للقول، لتصبح قائلا، ويصبح الرجل هو موضوع القول؛ وقد شكلت هذه الجرأة في الطرح، إحدى صعوبات البحث، نظرا لعدم توفر المراجع وفق هذه الرؤية. بالإضافة إلى صعوبات أخرى.

وقد حاولت في هذه الدراسة تحري الدقة والموضوعية، والأمانة العلمية قدر ما استطعت بإذن الله وتوفيقه، وأتمنى أن أكون قد وفقت، وأن تكون هذه الدراسة قد قدمت إضافة جديدة

للساحة الأدبية ولو بقسط بسيط، فإن وفقت فمن الله، وإن أخفقت فمن نفسي ومن الشيطان وفي الأخير أتقدم بالشكر إلى أستاذي المشرف لرعايته هذا البحث منذ كان مجرد فكرة وبتجليه حتى هذه الصورة، فإنه يبقى ينتظر التوجيه والإضافة، والإثراء.

مكانة المرأة الأندلسية :

كانت البلاد الأندلسية، من أجمل البلدان الإسلامية، بجوها المعتدل، وبما فيها من خضرة وماء، وبساتين وأنهار، وجبال وسهول. مثلها ابن خفاجة قائلا:[1]

يخلا أهل الأندلس لله دركم*** ماء وظل، وأَنهار وأشجـار
ما جنة الخلد إلا في دياركم*** وهذه كنت، لو خيرت أختار

وبالتالي أصبحت الأندلس "أغنية عذبة في فم الشاعر، و أنشودة ساحرة على لسانه. يرددها أينما ذهب، وحل، فوصف الروض، والمتنزهات، والجداول ، والأزهار.

وقد تجلت عبقرية الإنسان في المكان لتزيد جمالا" بالقصور الأنيقة، والمساجد، والحمامات والبرك، والأحواض والجسور، التي بقيت آثارها حتى اليوم"[2]. وقد جسدت هذه القصور الثقافات المتعددة للأندلس؛ ومثلت حياتها الزاهية ونجاصة في عصر ملوك الطوائف الذي كان" أحسن الأزمان وأسواها، عصر الحكمة وعصر الجهالة، عهد اليقين والإيمان، وعهد الحيرة والشكوك أوان النور وأوان الظلام، ربيع الرجاء وزمهرير القنوط: بين أيدينا كل شيء، وليس بين أيدينا أي شيء قط، وسبيلنا جميعا إلى سماء عليين، وسبيلنا جميعا إلى قرار الجحيم"[3].

وكانت المرأة هي الزينة الأولى للقصور آنذاك، كيف لا وهي المحبوبة المرغوبة، خاصة مع امتزاج مع امتزاج الأعراف وانتشار الجمال الغريب القادم من كل بلاد الدنيا إلى الأندلس؛ ولكن نساء الأندلس لم تبقين حبيسات الخدور، يحققن فقط رغبات الرجال، وإنما كان منهن المرأة المتعلمة والشاعرة، المؤدبة والطبيبة، وهي المعبرة دائما عن تميزها وفرادتها؛ وبالتالي فقد خرجت المرأة الأندلسية من زاوية(الموضوع) الضيقة التي طالما حبست فيها، إلى رحاب (المنشىء) المعبر عن وجوده وكينونته، وذلك بفضل ما تمتعت به من حرية كبيرة مقارنة بنظيرتها في المشرق العربي. حيث لاقت تكريما لم تحظ به المرأة في المجتمعات الأخرى، فقد كانت المرأة الأندلسية"تتمتع بوضعية أكثر ليبرالية من وضعية أخواتها في المشرق"[4].

---

[1]- ابن خفاجة:تح/ عبد الله تنرة،دار المعرفة للنشر والتوزيع،بيروت،لبنان،2006،ص133.

[2]–سامي يوسف أبو زيد:الأدب الأندلسي،ط1،دار المسيرة للنشر والتوزيع والطبع،2012،ص41.

[3]–الطاهر أحمد مكي: دراسات أندلسية في الأدب والتاريخ والفلسفة، ط3، دار المعارف،كورنيش النيل، القاهرة،1987،ص227.

[4]- محمد صبحي أبو حسين:صورة المرأة في الأدب الأندلسي في عصر الطوائف والمرابطين،ط2،عالم الكتب الحديث الأردن،2005 ،ص26.

إذ أولت الأسرة الأندلسية، اهتماما كبيرا للبنت منذ ولادتها، فكان يطلق عليها اسم من أسماء شهيرات الإسلام مثل: أم كلثوم، أم الحكم، أم عاصم، إضافة إلى أنهم كانوا يطلقون على البنات أسماء مستمدة من أسماء الزهور، فقد كان "للمنصور بن أبي عامر" ثلاث بنات سماهن: بهارا ونرجسا، وبنفسجا، فالأندلسيون كانوا يحرصون على تنشئة بناتهم على الصلاح ومكارم الأخلاق حتى تنتقل إلى بيت زوجها لتعيش معه في ود، وصفاء فلا تذم عشيرته"[1]، وفي هذا يقول ابن حمديس في إحدى بناته:[2]

فَيَا غَرْسَةً للأَجْر كُنْتُ نَقَلْتُـــها*** إلى كَنَفي صَوْنًا،وأَلْحَفْتُهَا ظلي

وَأَنْكَحْتُهَا منْ بَعْد صدْق حَمَدْتُهُ*** كَرِيْمًا فلم تَذْمَمْ مُعَاشَــرَةَ البَعل

كما نجد أن الأسرة الأندلسية، لم تفرق بين البنت والولد، وهذا ما يصوره لنا "ابن عمار" الشاعر عندما ولد "للمعتمد بن عباد" توأم من ذكر وأنثى فهنأه قائلا:[3]

أُهَنأُ بنَجْلَيْكَ من أُنْثَى ومن ذَكَر***لا تُعْدمْ الضَوْءَ بَيْنَ الْشَمْس و الْقَمَرْ

من هنا يتضح جليا مكانة المرأة في المجتمع الأندلسي، والتي أصبحت تمشي جنبا إلى جنب مع الرجل، كما تتضح ثقافة الأسرة الأندلسية في تصوير الأبناء والتأنق بهم. إذ شبه الشاعر النجلين من ذكر وأنثى بالشمس والقمر،ومن هنا فلا فرق بينهما من حيث الجمال والأهمية.

لعل حظ المرأة الأندلسية، في عصر ملوك الطوائف، لم يتوقف عند حد عدم التفرقة بينها وبين الرجل وفقط، بل كان للمرأة نصيب وافر في النشاط العلمي في عصر ملوك الطوائف حيث ازدانت البيئة الأندلسية بالكثير من الشاعرات اللائي أسهمن في إثراء الأدب الأندلسي بألوان طريفة في موضوعات الشعر، فكان إثرائهن للشعر أمرا بينا في مجتمع كاد يكون كله شعراء، ففرضن وجودهن فرضا في مضمار الشعر، وكن فيه" كأزهار الشقائق بلونها الزاهي الأرجواني مختالة وسط بساط الأقاح، الذي يغطي السهول، ويوشي السفوح مع إطلالة الربيع"[4]

[1] سهام العقون:شعر ولادة بنت المستكفي،دراسة أسلوبية،رسالة معدة استكمالا لمتطلبات نيل شهادة الماستر،المركز الجامعي ميلة،2012،2013،ص8.

[2] محمد صبحي أبو حسين:صورة المرأة في الأدب الأندلسي في عصر الطوائف والمرابطين،ص26.

[3] المرجع نفسه:27.

[4] سهام العقون:شعر ولادة بنت المستكفي،دراسة أسلوبية،رسالة معدة استكمالا لمتطلبات نيل شهادة الماستر،2012،2013، ص9

إن عدد شاعرات المشرق العربي، أمثال ليلة الأخيلية، علية بنت المهدي، والشاعرة المهزمية وعريب المأمونية، قليل إذا قيس بعدد الشاعرات في الأندلس، كما أن قصائدهن كانت محدودة الكم، فضلا عن التقاليد التي لم يستطعن التحرر منها في ظل مجتمع المشرق العربي ، الذي مهما قيل في تبدله، وانحلاله في فترات بعينها، إلا أنه ظل يحاسب المرأة على قولها وفعلها أما في الأندلس، فقد تمتعت المرأة بكامل حريتها في بيئة جديدة لم ترتبط بثقل تلك العادات والتقاليد التي ارتبطت بها المرأة في المشرق، فشاركت المرأة الشاعرة في كل فنون الشعر، وكل أساليبه فكانت كانت تمدح وتفخر، وتهج كما كانت تتغزل في الرجل من دون تحرج ولا تكتم. ونجد في هذا الموضع "ولادة بنت المستكفي" التي أعلنت عن الإباحة، فتقول:[1]

أُمَكنُ عَاشقيْ منْ صَحْن خَدي***وَأَعْطيْ قُبْلَتيْ منْ يَشْتَهيْهَا

كما تقول في "ابن زيدون" لما أولع بها طول تمنع:[2]

تَرَقَبْ إذا جَنَ ٱلظَلاَمُ زيَارَتيْ*** فَإنيْ رَأَيْتُ ٱللَيْلَ أَكْتَمُ للسر

وَبيْ منْكَ مَا لَوْ كَانَ بالشَمْس لَمْ تُلحْ***وبالبدر لم يطلع وبالنجم لم يسر

ومن ثمة فقد أحصى البعض الشاعرات الأندلسيات، فقيل "أنهن يزدن على الستين ألف شاعرة،وهذا العدد يدل على نشاط المرأة الأندلسية في الحياة الأدبية"[3]، بالإضافة للحرية التي كانت تعيشها آنذاك، أمثال ولادة بنت المستكفي، وحفصة الركونية...

[1] – محمد صبحي أبو الحسن:صورة المرأة في الأدب الأندلسي في عصر ملوك الطوائف و المرابطين،ط2،عالم الكتب الحديث،الأردن،1426هـ،2005م،ص ص:36،37.

[2] – محمد صبحي أبو الحسن:صورة المرأة في الأدب الأندلسي في عصر ملوك الطوائف و المرابطين،ط2،عالم الكتب الحديث،الأردن،1426هـ،2005م،ص36.

[3] - سهام عبد الوهاب الفريح:المرأة العربية والإبداع الشعري،ط1،دار جرير ،عمان،الأردن،1431هـ،2010م،ص:37.

تعتبر المرأة جزءا من التركيبة العامة للمجتمع الأندلسي، لما كان لها من دور كبير في نظام هذا المجتمع، فقد شغلت مكانة متميزة وأسهمت في مختلف مظاهر الحياة و جوانبها، لدرجة كان فيها حضورها أكثر بروزا وأكثر فعالية؛ ولعل ذلك يعود إلى ما تمتعت به من حرية، وما نشأت عليه من ثقافة موسوعية أهلتها لترك بصمة واضحة في مجالات الحياة المختلفة، السياسية منها والاجتماعية والثقافية على السواء، فما قدمته المرأة لمجتمعها الأندلسي هو ما دفع بالمؤرخين إلى الاهتمام بتدوين سيرتها والتمثيل لأدبها في كتبهم من باب الاعتراف بفضلها، وتبيان نبوغها ومشاركتها الرجل في كافة مناحي الحياة.

1. المرأة و السياسة:

لقد شاركت المرأة العربية الرجل في معظم أمور حياته ومهامه، كما شاركته في الحروب وكانت منهن المقاتلة الصامدة أو المحرضة الشجاعة، ثم جاء الإسلام فأكرم المرأة غاية الإكرام، وأنزلها منزلة عالية تليق بها، وإن كان للرجل مكانة ما فأكثر الفضل في ذلك يرجع إلى الأم، التي كانت الموجّه الأول والمربي الحاضن لأخلاقه التي نشأ عليها، فقد اشتهرت المرأة منذ القديم بالكرم والشجاعة والأدب، كوالدة حاتم الطائي مثلا التي يُقال إنه قد ورث الكرم عنها.

قد يُظنّ أن مكان المرأة في القصور لم يخرج عن زوايا المتعة، وأن حضورها لم يتعدّ دائرة الحضور الجمالي، باعتبارها من ثوابت زينة القصر، غايتها القصوى إمتاع الرجل؛ لكنّ الحقيقة أن هذه المرأة، حتى وإن كانت الغاية الأولى لوجودها في القصر كذلك، فإنها لعبت أدوارا أبعد خطرا وأعلى شأنا في السياسة، بحسب ما ساعدها من ظروف، وبحسب ما مكّنها إياه وعيها وثقافتها وحنكتها ودرايتها بمجريات أمور القصور.

لقد كانت قصور ملوك الطوائف حافلة بالأحرار من النساء و الجواري من كل أمة ومن كل صنف، و نجد أنه كان لهن المقام الأول والكلمة النافذة في تلك القصور، وقد يكون لإحداهن من السلطان في القصر ما له أثر بالغ، ليشهد بذلك حمل المرأة الأسماء والألقاب دليلا على نفوذها وتأثيرها، ولكن ما تذكره المصادر والمراجع الأدبية والتاريخية من هذا المسكوت عنه قليل جدا، والذي كثيرا ما بقي حبيس جدران تلك القصور، حتى ابتليت بالسقوط قصرا فقصرا ومملكة فمملكة، مما أبقى المرأة وتأثيرها السياسي على هامش الأحداث، و ذهب بمكانتها و نفوذها.

لعل من هذا القليل الذي غالب المسكوت عنه وغادر جدران القصر ما أشار إليه ابن القوطية عندما يتحدث عن زوجة الأمير عبد الرحمان بن الحكم، إذ كان لها تحكم ونفوذ في عهد زوجها بحيث أنها استطاعت أن تصرف ولاية العهد إلى ابنها عبد الله دون محمد، أخيه وبكرِ زوجها.

ومن أمثلة نفوذ المرأة الأندلسية وسلطتها في عصر ملوك الطوائف أيضا، تأثير اعتماد الرميكية على زوجها المعتمد بن عباد ملك اشبيلية، عندما صبت نار الحقد والكره على وزيره "ابن عمار" الذي لم تغفر له أنْ ذكرها بالسوء في قصيدته التي خاطب فيها ابن عباد(المتقارب) :[1]

تخيرتها من بنات الهجان *** رميكية ما تساوي عقالا

فجاءت بكل قصير العذار *** لئيم النجارين عمّا و خالا

قصار القدود و لكنهم *** أقاموا عليها قرونا طوالا

فظلت الرميكية تلعب بأفكار المعتمد وتستثير حميّته، حتى عادى صديقه المقرّب ووزيره ابن عمار، إلى أن قتله في النهاية.

هذا وكان للمرأة أيضا مشاركة سياسية، سواء كانت مشاركة مباشرة أم غير مباشرة؛ فهذه ولادة بنت المستكفي والتي كان لها تأثيرها الخاص في وزراء وأمراء عصرها، ولا يخفى أثر التنافس التي تركته بين الوزيرين ابن زيدون وابن عبدوس، هذا الحب الذي جر ابن زيدون الى المعاناة والسجن بسبب مكائد غريمه الذي كاد له عند الأمير ابن جهور، ولولا تعثر هذا الحب لما تحوّل شاعرنا إلى إشبيلية ليستوزر هناك.

ولم يقتصر الأمر على شهيرات المجتمع الأندلسي في عصر ملوك الطوائف فحسب مشاركة سياسية نقدية، فهذه الشاعرة من مدينة" شلب" والتي عاشت في القرن السادس الهجري، "وكانت تجالس الملوك وتناظر الشعراء"[2] ولا تتورع عن أن تهاجم الولاة، وقد بعثت بأبيات للخليفة المنصور يعقوب الموحدي، تتظلم لديه من ولاة بلدها، ومن صاحب الخراج قائلة: [3]

[1]-ابن الآبار:الحلة السبراء،ت حسين مؤنس،د.ط،دار المعارف،القاهرة،د،ت،ج2،ص63.

[2]-عيسى خليل محسن:أمراء الشعر الأندلسي،دار جرير للنشر والتوزيع،عمان،الأردن،1427ه،2008م،ص342.

[3]-المرجع نفسه:ص342.

قد أن آن تبكـي العيـون الآبيـة ***ولقـد أرى أن الحجـارة باكيـة

يا قاصد المطر الذي يرجى بـه *** إن قدر الرحمـان وضـع كراهيـة

ناد الأمير، إذا وقفـت ببابـه: *** يا راعيـا إن الرعيـة فانيـة

أرسلتها همـلا ولا مرعـى لهـا ***وتركتـها نهـب السبـاع العاديـتة

شلب كلا شلب، وكانت جنـة *** فأعـادها الطـاغون نـارا حاميـة

حافوا وما خـافوا عقوبة ربـهم *** والله لا تخفـى عليـه خافيـة

هذه الأبيات وكما ورد في نفح الطيب قرئت على الخليفة يوم الجمعة على مصلى المنصور بعد إطلاعه عليها، ومعرفة حقيقتها دفع الظلم عن الشاعرة وعن بلدها، ويبدو من خلال الأبيات أن الشاعرة "الشلبية" عرفت كيف تصل إلى عطف الخليفة من خلال عزفها على وتر المدح ، وذكر الحالة السيئة التي آل إليها الرعية في بلدها شلب. وما هذا إلا دليل على تفوّقها، واقتدارها على التحكم في الألفاظ والمعاني العذبة والقوية.

ومن كل ما سبق فإن المرأة الأندلسية،خصوصا في عصر ملوك الطوائف، لم تبق السياسة حكرا على عنصر الرجال،بل اصبحت المرأة أكثر اضطلاع ودراية بشؤون القصور،وما يجري بداخلها.

2- المرأة و الحياة الاجتماعية:

لقد تمتعت المرأة بحرية كبيرة في الأندلس بصورة عامة، ولكن عصر ملوك الطوائف أكسبها حرية أكبر، إذ لم تعد المرأة تخضع لأية قيود عرفية، فأصبح بإمكانها أن تخرج سافرة، وأن تسعى في المجتمع معبّرة عن كينونتها ووجودها وتفردها، ولم تعد حبيسة البيوت أو القصور، ولعل خير مثال على ذلك قصة العاشقين ولادة بنت المستكفي والوزير ابن زيدون، وقصة حفصة الركونية و أبي جعفر...الخ.

كما كان للمرأة حرية التعبير ونقد أي شخص، وهذا ما يؤكده المقري في كتابه "نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب" بأن بعض أهل مرية مروا بوادي إشبيلية على طاقة من طاقات شنتبوس[1].فقال أحد الرجال يغني:[2]

خلَين من واد ومن قوارب *** ومن نزاها في شنتبوس

غرس الحبق الذي في داري *** أحب عندي من العروس

فأخرجت جارية رأسها وسألته: من أي بلد أنت يا من غنى؟ فقال: من المرية، فقالت: وما أعجبك في بلدك حتى تفضله على وادي إشبيلية وهو بوجه مالح وقفا أحرش؟[3]، وفي هذا مثال واضح يبين مقارعة المرأة للرجل، حتى وصل بها الحد في الدخول معه في مختلف المساجلات والمنافرات، وقد تتفوق عليه في ذلك.

ولقد كانت المرأة أكثر حضورا في الحياة الاجتماعية، حيث لم تكن مضطرة إلى أن تصون وجهها، أو تجعل لها حجاب بينها وبين الرجال، وإنما كانت تسفر عن وجهها للرجال، وتشاركهم مجالسهم الطربية، ومجالس الأنس بل كانت من مستلزمات هذه المجالس فهي الشاعرة والمغنية والساقية والطبيبة، كما كانت الأم وكانت الجارية.

لقد كان من جنى حرية النساء في الأندلس، وجناياته أحيانا، أنهن تمكّنّ من التعبير عن حبهن بكل حرية، وإن جاوزت الحدّ، ولقد اختلفت طرق تعبيرهن فهناك من تراسل حبيبها وهناك من تخاطبه بأبيات شعرية غزلية، وهناك أيضا من تومئ له بحركات ما، ومن النسوة

---

[1]- منارة في اشبيلية.

[2]- المقري التلمساني:نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب،ج4،ص248.

[3]- المصدر نفسه:ص348.

اللواتي تغزلن بالرجل وعرضن حبهن ولادة بنت المستكفي التي كتبت إلى ابن زيدون أول معرفتها به حسب ما ذكرته بعض المصادر قولها:[1]

ترقب إذا جَن الظلام زيارتي *** فإني رأيت الليل أكتم للسر

وبي منك ما لو كان بالبدر ما بدا *** وبالليل ما أدجى وبالنجم لم يسر

ومن الشاعرات الأندلسيات اللواتي أكثرن من الغزل بأحبائهن حفصة الركونية الغرناطية، إذ تقول في معشوقها أبي جعفر بن سعيد:[2]

أَغَارُ عَلَيْكَ منْ عَيْنيْ رَقيبي *** وَمنْكَ وَمنْ زَمَانكَ وَالمَكَانِ

ولو أني جعلتك في عيوني *** إلى يوم القيامة مَا كَفَانـي

وبالتالي فإن الصراحة والجرأة التي كانت تتميز بها بعض النسوة، سمحت لها بالتعبير عما يخالج قلبها من حب وغيرة، ولعل الشيء الذي ميز البيئة الأندلسية على غيرها من البيئات الأخرى هو أن الرجل هو الذي كان يشتهر بحب التملك والتسلط على المرأة، على غرار ما تميزت به البيئة الأندلسية والتي أصبح للمرأة سلطان ونفوذ على الرجل .

كما أصبحت المرأة ممن يشعل نار الغيرة بين الرجل ومن يحب فعلى سبيل المثال ذكر المؤرخين أن سبب عدم زواج ولادة بنت المستكفي بالشاعر ابن زيدون يعود لجاريتها "عتبة" حيث قيل إنه كانت تربطه علاقة بهذه الجارية، ولقد غنت هذه الأخيرة في مجلس كان يضم سيدتها ولادة وابن زيدون أبيات تتغزل فيها إذ تقول:[3]

أحبتنا إني بلغت مؤملي *** وساعدني دهري وواصلني حِبِّي

وجاء يهنيني البشير بقربه *** فأعطيته نفسي وزدت له قلبي

[1]- صلاح جرار :قراءة في الشعر الأندلسي،ط1،دار المسيرة،ص178.

[2]– محمد صبحي أبو حسين:صورة المرأة في الأدب الأندلسي،ص89

[3]–ابن بسام الشنتريني: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تح: إحسان عباس، دار الثقافة بيروت،1997،ج1،ص431.

ولنا أن ننظر في هذا التكافؤ بين الجارية والسيدة بحيث لا يقوم حاجز أمام التعبير عن الحب، بكل جرأة وبلا احتشام، ليصبح هذا نسقا ثقافيا لم تتحمله بيئة من قبلُ كما تحملته البيئة الأندلسية.

ولقد تجاوزت حرية المرأة العرف المعتاد عند العرب، عندما أصبحت النساء طالبات للرجل لا مطلوبات، حتى إن القصص في ذلك شاعت، كقصة تلك المرأة التي هامت بفتى من أبناء الرؤساء فأخذت تلمح له ولكنه لم يفهم، فلم تجد حلا أمامها فأخبرت امرأة تثق بها بما هو واقع لها، فنصحتها هذه الأخيرة بأن تعبر له عن حبها بأبيات، فعرضت له عما يجوب في خاطرها فلم يفهم، و لما يئست منه ... قبلته ولم تنبس شفتاها بكلمة وتركته، فما غمض له جفن وكان هذا بدء الحب بينهما؛ وهذا ما يدخل عند المرأة الأندلسية تحت لواء التحرر والتملص من عاداتها وتقاليدها.

وكما كان متوقعا فإن الحرية التي أعطاها المجتمع الأندلسي للمرأة، إذ سمح لها بممارسة عدد من الأنشطة الاجتماعية والثقافية والدينية، مما جعلها أكثر تحررا من نظيراتها في المشرق وسائر البلدان الإسلامية الأخرى.

وليست هذا فقط فقد أصبحت المرأة تضاهي الرجل في ساحات الدرس، وفي السمر الأسري، فكانت تخرج للمساجد والأسواق برفقة جواريها، وتتنزه في الرياض والحدائق العامة، بمعنى أنه كان في البيئة الأندلسية، وخصوصا في عصر ملوك الطوائف، نساء أعطت للرجل دروسا أن المرأة ليست بنت هوى وفقط بل باستطاعتها مواكبة الرجال ومساجلتهم. وهذا ما سمح لها من مشاركة الرجل في جميع مجالات الحياة المختلفة من شعر وغناء وطب وحساب وغيرها.

وقفت المرأة وجها لوجه مع الرجل وتبارت معه شعرا ونثرا، وعبّرت عن فرادتها وتميّزها، وكان للمرأة الأندلسية جارية كانت أم حرة في إتخاذ قرارها فيما يتعلق بقبول الزواج أو رفضه، فلا يستطيع أحد أن يحرمها أو يجبرها على شيء تكرهه، و هذا ما وقع مع اعتماد الرميكية عندما تقدم إليها المعتمد، فطلبت منه مهلة لتستشير أباها في الأمر على الرغم من كونها جارية من جواريه، إلا أنها قبلت بعرض المعتمد فتزوج وأعتقها وبرّ بها.

مع هذا فقد تمرّدت بعض النساء على الحرية المشروطة التي منحها إياها الإسلام حين سمح لها بالتعامل مع الرجال، فشبّت عن الطوق وتجاوزت حدود الحياء والحشمة لتتملص

من أنوثتها، وتقمصت بعض الشاعرات صفة جديدة، فأطلق عليهم بالشاعرات الراجلات، اللائي نظمن شعرا مكشوفا مليئا بأساليب البذاءة والترخص وألفاظ السوقة، وأسماء عورات الجنسين على السواء، وبالتالي تجاوزن ما يعرف بالتحرر ووصل بهن الحد إلى ما يعرف بالثورة على العادات والتقاليد والأعراف.

ولعل من أشهر ذلك ما ذكر[1] عن تطريز "ولادة بنت المستكفي" ثوبها بأبيات كانت إعلانا عن الإباحة والانطلاق، فكتبت بالذهب على الطراز الأيمن(الوافر)[2]:

أَنَا واللهِ أَصْلَحُ لْلمَعَالي *** وَأَمْشي مشْيَتـيْ وَأَتيهُ تيـها

وكتبت على الطراز الأيسر:

أُمَكنُ عَاشقي منْ صَحْن خَدي *** وأعطي قُبْلَتي منْ يَشْتَهيـهَا

ولعل الشيء الذي جعل من أدب المرأة، أكثر إهمال من قبل المصادر الأدبية،هو بعض الأساليب الرخيصة، والألفاظ المعارضة للعادات والتقاليد، وهذا ما ظهر جليا في بعض المصادر الأدبية. ومن بينها قصة الرجل المخزومي الأعمى مع نزهون القلاعي، الذي صورها بأبشع الصور الفاتكة للعرض والشرف.

ومن ثمة فقد كان للمرأة في العصر الأندلسي وخاصة في عهد ملوك الطوائف دور كبير في الاجتماع والسياسة والثقافة والفكر على السواء. وهذا راجع للانفتاح والحرية التي أولاها حكام هذه الفترة للمرأة، والتي منحت إن صح التعبير نفح الطيب لغصن الأندلس الرطيب.

[1]- هي ولادة بنت محمد بن عبد الرحمان الناصر الملقب بالمستكفي، الذي تولى الخلافة سنة414هـ ،وهي سيدة نساء أهل زمانها، واحدة أقرانها، شاعرة متهكمة مجاهرة.

[2]– المقري التلمساني: نفح الطيب،ج5،ص380.

3-المرأة والحياة الإقتصادية:

لم يقتصر دور المرأة الأندلسية على الاجتماع والسياسة وفقط بل كان لها الدور في الحياة الاقتصادية، ولكن كون المرأة في العصر الأندلسي تنقسم إلى نوعين هم المرأة الحرة و المرأة الجارية، ولعلى مشاركة المرأة الحرة في إزدهار الحياة الإقتصادية لم يكن مثل نظيرتها(المرأة الجارية).

وهذا بالنظر لما كان للجواري من دور كبير في الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية كما ذكر سابقا، لكن هؤلاء الجواري لم يكن الوحيدات اللواتي دخلن الأندلس، بل هناك أعداد لا تحصى من الجواري اللائي دخلن سبايا حرب أو ضمن قوافل تجارة الرقيق أو بضاعة تباع في الأسواق، وتتم عملية شراء الجارية بثلاث مراحل: أولها اختيار الجارية والتعرف إلى ملكتها والتأكد من سلامتها من العيوب، وثانيها الاتفاق على سعرها وكتابة عقد البيع والشراء، وثالثها اصطحاب الجارية إلى المنزل وتعريفها بالقهرمانة[1] إن وجدت.

اكتظت المدن الأندلسية بتجار الجواري حيث" كان اليهود مهيئين أكثر من غيرهم للاضطلاع بهذه الوظيفة"[2]، ولقد تخصصت بعض المدن بأنواع من الجواري فمثلا قرطبة التي كانت "أكبر مدينة إسبانية تضم يهودا، وكانوا يمتهنون تجارة العبيد وبيع أدوات الزينة"[3] إذ اختصت بالجواري المغنيات، حتى إن أبا الوليد ابن جهور، وهو أحد ملوك الطوائف وأمير قرطبة، تلقى ثلاث رسائل في يوم واحد من أمراء يطلبون جواري موسيقيات[4]

وتعد الجواري الصقليات أكثر الجواري طلبا، لما عرفن به من شقرة وعيون ملونة كانت هذه الصفات مطلوبة في المجتمع الطوائفي، لأنها غريبة وجديدة عليه، وهذا ما أشار إليه الدكتور الطاهر المكي إذ يقول: "وكان للأسيرات القادمات من بلاد الإفرنج في جنوب

---

[1]- القهرمانة: لامرأة وربما جارية، يتلخص عملها في عد وإحصاء كل ما تحمله الجارية معها من ملابس وحلي ومتاع وتكتبه وتصف الجارية ثم تقدم القائمة إلى السيد ، وقد توجد منهن الكثير في القصر الواحد.ينظر ابن حيان:المقتبس من أبناء أهل الأندلس،تح،محمود علي مكي،دار الكتاب العربي، بيروت،دط،1973،ص:218.

[2]- نافزة ناصر الشرباتي:اليهود وأثرهم في الأدب العربي في الأندلس،ماجستر في اللغة العربية،جامعة الخليل،حسن فليفل،2008م،ص:79.

[3]- هيام يوسف المجدلاوي :الزهد في الشعر العربي في القرنين الرابع والخامس الهجريين ،درجة ماجستير في الأدب والنقد ،إشراف: محمد صلاح أبو حميدة، جامعة الأزهر،ص:05.

[4]- ينظر: ابن عذاري :البيان المغرب في أخبار أهل الأندلس والمغرب،ج3،ص:250.

فرنسا، ومن مقاطعات قطلونة وإلباسك وغالبية في شمال الأندلس، حظوة كبيرة في قرطبة لأنهن بيضاوات البشرة، شقروات الشعر، زرقاوات العيون"[1]، وفي تجارة الرقيق لابد أن يتأكد المشتري من أمانة التجار، فهناك الكثير من التجار من استعملوا العديد من الحيل، لجعل الجارية جذابة تستهوي المشتري، كتطويل شعرها وتغيير لون بشرتها، وكذلك الكذب حول أصلها.

ولقد شغف الأندلسيون بشراء الجواري "أيام ملوك الطوائف" "إذ استكثر المعتمد من الجواري فقيل ترك ثمانمائة جارية حين خلع عن العرش"[2]، أما أبوه المعتضد فخلف نحو سبعين جارية.

فلقد أهدر الحكام جزءا كبيرا من أموالهم في شراء الجواري حتى" أضحت قصورهم أشبه بخزائن لثرواتهم الحية التي تنظم الشعر وتغني وترقص"[3]، لأنهن لم يكن استثمارا لأصحابهن بل استثمارا مربحا لتجار الرقيق، ولقد اعتمد عددهن في البيت الواحد على القدرة المالية للممالك، إذ استفرد الحكام وأهل الطبقات الميسورة بالأكثر جمالا وعلما.

أما الأفراد من الطبقة العامة فلا يعتقد بأنهم قد بذروا أموالهم، في شراء جارية، فتلك الجواري التي ذكر أن بعض العامة ملكها ربما "كن هدايا قدمت لهم في إحدى المناسبات أو أن الحظ أسعفهم فاشتروا جواريهم بسعر منخفض"[4].

فالترف والبذخ الذي تمتعت بها الطبقة الخاصة في العصر الطوائفي، قد خفضت من القيمة المعنوية للجواري، فكثرتها أدت إلى عدم تعرف السيد على كل جواريه، وهذا ساهم في ظهور ظاهرة جديدة وهي "التهادي بالجواري"، لسهولة استغناء السيد عن اللائي لا يعرفهن.

والتهادي بالجواري لم يكن وليد عصر ملوك الطوائف، إنما بدأ منذ الفتوح الأولى في الأندلس فقد أهديت جارية للأمير عبد الرحمن الدخل أثر دخوله أرض الأندلس إلا انه رفضها وأعادها لصاحبها [5].

---

[1]– محمد صبحي: صورة المرأة في الأدب الأندلسي،ص:91.

[2]– ابن الآبار: الحلة السراء،ج2،ص:55.

[3]– جانان عزا لدين شبانة: الجواري وأثرهن في الشعر العربي في الأندلس،ص:91.

[4]– نفس المرجع:ص91.

[5]– ينظر :المقري التلمساني :نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ,ج4,ص35.

دون شك إن عملية التهادي في المجتمع الطوائفي شكلت مظهرا من مظاهر الفخامة والأبهة، التي عمل أفراد المجتمع الأندلسي "عصر ملوك الطوائف " على تملكها، وهدا ما أثر في اقتصاده وليس معنى هدا إغفال الأهداف الأخرى من وراء التهادي بالجواري، إذ قد يكون من اجل تأكيد عرى المحبة أو للثناء أو لتحقيق أهداف شخصية؛ ومما لاشك فيه إن شراء أية جارية ساهم في حركة سوق الرقيق وبالتالي الأسواق الأندلسية عامة، ولقد نشطت أسواق الرقيق بسبب إقبال الشباب الأندلسي عليها، فمقارنة بالمهور التي تفرضها الحرائر على كل من يتقدم لخطبتها، تصبح أسعار الجواري مناسبة إن لم نقل منخفضة. إلا أن هده الحال تغيرت عندما قام الآباء بالترغيب ببناتهم بان توقفوا عن طلب المهور وزادوا على هذا بان جهزوا بناتهم بالثياب والحلي، لكن هذه الجهود أبطأت سوق الرقيق دون إيقافها "فالقادرون على شراء جارية أو أكثر هم من الخاصة والأغنياء، الذين يحظون بمرتبة اجتماعية، يعملون على تعزيزها بالزواج من إحدى الحرائر"[1]. لم تساهم الجواري في تنشيط الأسواق الأندلسية فقط عند عملية التجارة بهن، بل امتدت إلى أبعد من ذلك، فالسيد دون شك سيشتري لجواريه الملابس والعطور، وقد يصل الأمر إلى شراء بيوت لهن، أو شراء بيوت أخرى تتسع لهن إن كثرن لدى سيد فمثلا المعتضد وبسبب ما يملكه من جواري كثر بلغن السبعين جارية، سيضطر إلى بناء قصر كبير أو تفريقهن على أكثر من قصر. ضف إلى كل هدا النفقات التي تتطلبها توفير الراحة للجواري.

ولم يكتف ملوك الطوائف بإهداء الحلي والملابس والبيوت لجواريهم، بل بالغوا وذهبوا إلى تقديم هدايا غريبة، تدل على حبهم كما فعل المعتمد، حيث أمر بان تسحق العطور المختلفة الأنواع وتعجن بماء الورد حتى تصير كالطين، فالرميكية اشتهت المشي في الطين بعد ان رأت الجواري يمشين فيه[2]. وقد اشتركت كل هذه الهدايا في الكلفة الغالية، وقد عاد هذا على الكثيرين بالمال الوفير مكنتهم من تحريك إقتصاد الأسواق الأندلسية، و لقد شكلت هذه الهدايا دون شك ثروة لدى هذه الجواري صرفن هذه الثروة في أشياء متعددة نشطت إقتصاده الأندلس كبناء المساجد وشراء الحقول حيث" أوجدت فرص عمل للكثير من الأندلسيين الذين عملوا في الحقول أو باعوا محاصيلها أو اشتروها .كما أن بناء الجوامع

[1]– جانان عز الدين شبانة :الجواري وأثرهن في الشعر العربي في الأندلس،ص94.

[2]– ينظر المقري التلمساني :نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب،ج6،ص48–49.

احتاج الكثير من العمال المهندسين و الفنانين، ناهيك عن مواد البناء المطلوبة التي سيتم شراءها من صناع و تجار متعددين "[1].

إن البصمة التي قدمتها الجارية الأندلسية لمجتمعها لا يمكن أن نوفيها حقها في بضع صفحات، لكن البحث حاول ما في وسعه أن يتحدث عن إسهاماتهن الفعالة في مختلف جوانب الحياة، ثم أن العديد من أخبار الجواري ضاعت مع ما ضاع من التراث الأندلسي الذي امتدت إليه أيادي العدو.

فالجارية لم تكن مجرد وسيلة متعة ،إنما جمعت بين المتعة و العلم، فكانت بذلك من ضروريات حياة الأندلسي التي لا يمكن الاستغناء عنها، مشكلة خطر كبير على أختها الحرة و مزاحمتها إياها، بل تغلبت عليها في الكثير من المرات ويكفي الجارية شرفا أن أغلب –أن لم أقل جميع –من حكم الأندلس عهد بني أمية أبناء جواري و هذا ما أقره ابن حزم عندما صرح بأنه لم ينل الخلافة في دولة بني أمية بالأندلس من كانت أمه حرة أصلا.

[1]–جانان عز الدين: الجواري و أثرهن في الشعر العربي في الأندلس،ص:100.

4-المرأة في الحياة الثقافية:

لم تكن المرأة خارج المنظومة الثقافية للمجتمع الأندلسي عامة، و لم يبتدعن حراكا خاصا بهن في أزمنة التراجع الثقافي، بل سرن في تناغم مع المجتمع تصاعديا و تنازليا، و ظهر للوجود أثر المرأة في الحياة الثقافية مند بداية تأسيس الإمارة على يد عبد الرحمان الداخل سنة 138هـ,و صعد نجمهن وداعا صيتهن في عصر الخلافة و ملوك الطوائف هذا الأخير الذي يطلق عليه بالعصر الذهبي للوجود الإسلامي في الأندلس، لتستمر نجومية المرأة في البريق لتمتد إلى زمن المرابطين والموحدين رغم ما عرفته هذه الفترات من تراجع للمد الثقافي.

إنه لمن دواعي السرور أن تهتم بدراسة أدب المرأة المسرور على الرغم من الإهمال الذي شهده هذا النوع من الأدب من قبل الباحثين و المؤرخين. فقد كان للحرية التي كانت تعيشها المرأة الأندلسية، أثر إيجابيا في الساحة الأدبية، كما كان للبيئة الأندلسية بجمالها وأناقتها دورا كبيرا في تشجيع المرأة على الإبداع.

فكان للمرأة الأندلسية حظا وافرا من التعليم، حيث نبغ الكثير منهن في العلوم و الآداب و الفنون.

حيث كان للمرأة في قصور الأمراء والأغنياء مهمة تربية الأبناء وتأديبهم، ومما تذكر المصادر الأدبية والتاريخية أن "ابن حزم" تلقى ثقافته الأولى وتربيته على يد نساء قصر أبيه حيث يقول: "ولقد شاهدت النساء وعلمت من أسرارهن ما لا يكاد يعلمه غيري، لأني ربيت في حجرهن ونشأت في أيدهن، ولم أعرف غيرهن، ولا جالست الرجال إلا وأنا في حد الشباب وحين "تبقل"[1] وجهي، وهن علمنني القرآن، وروينني كثيرا من الأشعار، ودربنني في الخط...."[2]

وهذا هو الشيء الذي جعل للمرأة دورا بارزا في الازدهار الحضاري الذي عم الأرض الأندلسية، فبزغت منهن حاذقات بمختلف العلوم والفنون، فاختلفت المجالات وتنوعت العلوم والآداب فهذه "ولادة بنت المستكفي" نموذجا للمرأة الأندلسية الحرة فكانت واحدة زمانها، المشار إليها في أوانها، حسنة المحاضرة، مشكورة المذاكرة .

---

[1]- بقل: أبقلت الأرض إذا اخضرت بالبنات ،وفي المجاز بقل وجه الغلام إذا نبت شعر خده ولحيته.

[2]– رسائل ابن حزم الأندلسي: تح/د، إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،ط1987،2،ج1،ص177.

فقد كان لها مجلس أدبي بقرطبة يحضره الشعراء والكتاب من أرجاء الأندلس كافة، وفي ذلك نجد ابن بسام الشنتريني صاحب كتاب الذخيرة:[1] وكان مجلسها بقرطبة منتدى لأحرار المصر، وفناؤها ملعبا لجياد النظم والنثر، يعشو أهل الأدب إلى ضوء عزتها، ويتهالك أفراد الشعراء والكتاب على حلاوة عشرتها، إلى سهولة حجابها، كثيرة منتابها، تخلط ذلك بعلو نصاب وكرم انساب وطهارة أثواب، على أنها سمح الله لها وتغمد زللها، أطرحت التحصيل وأوجدت إلى القول فيها السبيل بقلة مبالاتها ومجاراتها بلذاتها.." ويقول ابن دحية أيضا في كتاب المطرب"ص7" عن ولادة:{أديبة شاعرة جزلة القول حسنة الشعر، وكانت تخالط الشعراء وتساجل الأدباء، وتفوق البرعاء }.

هذا ما يذل على المكانة المرموقة التي احتلتها المرأة الأندلسية بصفة عامة ، وولادة بنت المستكفي بصفة خاصة.

ومن النساء اللواتي اشتهرن بالعلم والأدب أيضا "العبا دية" التي أهداها مجاهد العامرية ملك دانية إلى المعتضد بن عباد والد المعتمد، فقد كانت كاتبة وشاعرة عالمة بكثير من علوم اللغة. دون أن ننسى نزهون الغرناطية المشهورة بجمالها، وخفة دمها، وحفظها للشعر والأمثال هذا الأخير الذي كان له الدور الكبير لذا الملوك والأمراء إذ اتخذوا من أشعارهن حججا وأدلة لتدعيم أحكامهم.....وغيرها.

حيث كان لنزهون القلاعي مكانة مرموقة عند الأمير أبو جعفر بن سعيد وذلك لما دار بينها وبين الأعمى المخزومي من مساجلة كادت أن تخرج عن إطارها المنشود لولا تدخل أبو جعفر ووضع حدا لهذه المساجلة، ولكن بفضل حنكتها وذكائها تمكنت نزهون من استدراجه واكتساب مكانة لذيه ،حتى أصبحت تلميذة من تلامذته النجيبات التي داع صيتها بين نسوة زمانها.

لكن هذا لا يعن أن الحقبة الثقافية توقفت عند نزهون القلاعي، بل ظهرت في الأفق شاعرات أخريات من بينهم : حفصة بنت الحاج الركونية التي كان لها مجلس بين الخلفاء والأمراء حيث كانت تنشدهم من شعرها، فكانت تذهب إلى زيارة عشيقها أبي جعفر بن سعيد في منزله، وتساجل الشعراء الذين تلتقي بهم هنالك، حيث ساعدتها المكانة التي تحتلها

[1]- المقري التلمساني :نفح الطيب،ج1،ص528.

هذه الأخيرة من السعي للعمل في وظيفة ديوانية لدى الخليفة الموحدي عبد المؤمن بن علي فخاطبته بذلك قائلة:[1]

يا سيـد الناس يا مـن*** يؤمـل الناس رفـده

أمنـن علـي بصـك*** يكون للدهـر عـده

تخـط يمنـاك فيـه*** "والحمـد للـه وحده

وقد كانت العلامة السلطانية لخلفاء الموحدين" الحمد لله وحده".

لكن الشيء الذي أثارني وأنا أتناول هذا الموضوع هي ظاهرة انتشرت إبان ملوك الطوائف ما يعرف بشراء الجواري وبما أنا الجارية صورة من صور المرأة أردت أن أتوقف عندها.

حيث كان كل ملك من هذه الطوائف لشراء جارية من الجواري وضمها تحتي لوائه، والتي تلقين ثقافة متعددة في اللغة والأدب والشعر والحساب والعروض والحديث، وغيرها من العلوم. وأنهن ملكن مواهب أو ملكات دلت على ثقافتهن وعلمهن، أو روي في أخبارهن ما يدل على ذلك"[2].

كما حرصوا أيضا على التأكد من قدرة الجارية على الارتجال قبل شرائها، وهل تستطيع أن تنظم شعرا وتجيز سائلها أم لا؟. وبالتالي مدا استطاعتها على إمتاع سيدها، فإن استطاعت سميت وأطلق عليها اسم الجارية المتأدبة .فمما وردفي المصادر الأدبية: أن المعتصم اشترى "غاية المنى" وهي جارية أندلسية متأدبة وأرسلها إلى ابن الفراء ليختبرها فلما وصلته قال : ما اسمك؟ فقالت: غاية المنى. فقال أجيزي (مجزوء الخفيف)[3]:

سل هوى غاية المنـــى .....فقالت مجزوء الخفيف[4]

..... من كسـى جسمي الضنـى

وأرانـــي متيمـــا.....سيقول الهـــوى أنا.

[1]– عيسى خليل محسن:أمراء الشعر الأندلسي،ط1،دار جرير للنشر،2008،ص339.
[2]- جانان عز الذين شيبانة:الجواري وأثرهن في الشعر العربي في الأندلس،ص56.
[3]- المقري التلمساني،نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب،ج6،ص61.
[4]- المصدر نفسه،ص61.

فالمتمعن في الإيقاع الذي انتهجته الشاعرة"غاية المنى"باختيارها " مجزوء الخفيف"لذليل على قدرتها،وحسن تخلصها،وجزالة بديهتها،وطول نفسها،إذ تمكنة وبفضل ذكائها أن تنسل من الموقف التي وضعة فيه من قبل "المعتصم" فاستطاعت بذلك "غاية المنى" أن تنال رضى المعتصم وأصبحت من أحب الجواري إليه، وأقربهم.

والشيء الملفت للانتباه أيضا، ما ظهر في المجتمع الأندلسي بما يعرف بطبقات الحرائر فعلى سبيل المثال: طبقة الأميرات والتي مثلتها ولادة بنت المستكفي التي تغزلت ببن زيدون "وأم الكرم بنت المعتصم بن صمادح" التي تغزلت بالسمار، ومن طبقة الثريات: عائشة بنت أحمد بن قادم المشهورة، صاحبة المكتبة القيمة، والحضور المحترم، ومن طبقة بنات العلماء والمثقفين قسمونة بنت إسماعيل اليهودي، وأم الحسن الطنجالي، وأم السعد الحميري وحسانة التميمية، وحمدة بنت زياد المؤدب.....وغيرها.

أما من الطبقة المثقفة المعلمة الشاعرة المشهورة حفصة بنت الحاج الركونية، ومريم بنت التياني القرطبية لكن الهدف من ذكر هذه الطبقات هو إبراز الدور الثقافي والفكري التي لعبته النسوة في إثرائه والذي مكنهم هذا الأخير من احتلال مكانة مرموقة داخل المجتمع الأندلسي.

ومن تمت فإن المرأة الأندلسية أعطيت لها الحرية المطلقة والواسعة على غرار المرأة في المشرق ،فقد سمح لها علمها وأدبها، واحترام الرجل لها بأن تختلط بالرجال وتقابل العلماء والشعراء، وتصلي في الجامع خلف الرجل، وتلقت التعليم مثله تماما.....وغيرها.

ومما سبق يتضح أن المرأة الأندلسية كانت بجانب عنايتها بالتعليم ،امرأة عالمة، فقد كانت ناسخة للمصاحف والكتب،" ومعلمة للنساء في دور السادة أو المدارس مثل حفصة الركونية"[1].

[1]- المقري التلمساني:نفح الطيب،ج2،ص504.

لاشك أن الحرية التي تمتع بها الأندلسيين، بالإضافة لعوامل أخرى–جمال الطبيعة–هي التي ساعدت الشعراء، على نظم قصائدهم في كل ما هو جميل ارتبط بواقعهم وبيئتهم، بما في ذلك النسوة اللائي شكلن مظاهر الجمال في الأندلس. فكان لهن تأثير كبير في المجتمع.

لكن تأثيرهن في الثقافة الأندلسية لم ينحصر في هذا الجانب، وإنما انتقل إلى الضفة المقابلة، وهي الجهة التي أصبحن فيها ناظمات للشعر، بحيث نظمن أشعارهن في موضوعات عديدة، ساعدتهن على ذلك البيئة الأندلسية الفاتنة، التي حفزت على قرض الشعر، من خلال ما منحته لمختلف فئات المجتمع من أجواء الحرية، والانفتاح على الأعراق الأخرى، وتقاليدها وكل ما هو جديد.

ولعل هذه الحرية التي تمتعت بها المرأة الأندلسية، سمحت لها مشاركة الرجل في مختلف مجالات الحياة(الاجتماعية، الاقتصادية، السياسية.....). وبمخالطتها للرجل في مختلف المجالس والندوات، تمكنت هذه الأخيرة من وضع الرجل في صور فنية مختلفة.

هذه الصور تختلف من شاعرة إلى أخرى، وذلك باختلاف المكانة التي يتبوؤها كل رجل في قلب كل امرأة.

فمنهن من صورته صورة الملاك، فجعلت منه نعم الأب والولد، ومنهن من شبهته بزهور الربيع فجعلت منه نعم الحبيب.... وغيرها.

1- الرجل الحبيب:

لقد كان لقصص الحب التي عاشتها معظم الشاعرات، إن لم نقل كلهم دورا كبيرا، في إلباس الرجل أشكالا وقوالبا فنية، وذلك حسب مكانته عند كل امرأة، فمن بين الشاعرات العاشقات للرجل، والمصورات له أحسن التصوير، نجد على سبيل المثال قصة الحب الخالدة في المصادر الأدبية، قصة ولادة بنت المستكفي والوزير ابن زيدون، بالإضافة الى قصة حب حفصة الركونية وابن جعفر.....وغيرها من القصص الغرامية التي داع صيتها داخل البيئة الأندلسية.

فهذه حفصة الركونية تتغزل بالوزير أبي جعفر في ثوب من الإحتشام، وقد بدت عواطفها، وكأنها شيء غير مخصوص بأحد بعينه فتقول:[1]

سلام يفتح زَهر الكما *** م وينطق بالشدو ورق الغصون

على نازح قد ثوى في الحشا *** وإن كان تحرم منه العيون

فلا تحسبوا العبد ينساكم *** فذلك والله ما لا يكون

فمن هنا يتضح ما مدا قدرة الشاعرة في التحكم في الألفاظ، وبالتالي مقدرتها على التعبير دون فواصل ولا حواجز بينها وبين الوزير، ومن هنا تبدأ اللقاءات بين حفصة وأبي جعفر، وتكتب علاقة الحب بينهما، وتبدأ الرسائل والمراسلات بين حبيبين، وهذا ما يتضح من خلال ما قاله أبي جعفر لحفصة حول لقاءهما الأول إذ يقول:[2]

رعى الله ليلا لم يرح بذمم *** عشية وارانا بحَوْر مؤمل

وقد خفقت من نحو نجد أريجة *** إذا نفحت هبت بريا القرنفل

وغرد قمري على الدوح وانثنى *** قضيب من الريحان من فوق جدول

يرى الروض مسرورا بما قد بدا لنا***عناق وضم وارتشاق مقبل

[1] - عيسى خليل محسن: أمراء الشعر الأندلسي،ط1،دار جرير للنشر والتوزيع ،عمان،1428 ه،2007م،ص340.
[2] - المرجع نفسه:ص341.

ومن هنا نرى بأن الحب ينسي الإنسان المكانة التي كان يعيشها في المجتمع، وهذا ما فعله الوزير أبي جعفر عند تعبيره عن مشاعره، ولقائه الأول بحبيبته، مستعملا الألفاظ والمعاني التي تمكن من التعبير عما يخالج القلب من عشق وولع بمعشقته، مستمدا من الروض وما فيها شهودا على ما حدث بينه وبين حبيبته.

فردت عليه قائلةً، "ونظرتها إلى المياه الجارية، والأطيار الصادحة والنجوم المنورة، تختلف عن نظرة الوزير العاشق المرح، إنها بنظرة المرأة تغار من كل شيء، فتخاف بذلك من الغيرة والحسد"[1]:

لعمرك ما سُر الرياض بوصلنا *** ولكنما بدت لنا الغل والحسد.

ولا صفق النهر ارتياحا لقربنا *** ولا غرد القمري إلا لما وجد.

فلا تحسن الظن الذي أنت أهله *** فما هو في كل المواطن بالرشد.

فما خلت هذا الأفق أبدى نجومه *** لأمر سوى كيما يكون لنا رصد.

لكن سحر هذا الرجل ووسامته جعل من هذه المرأة حبيسة العشق والغرام، فجعل منها أكثر إلحاحا على التعبير عما يخالج فؤادها من مشاعر وغيرة، بحيث تقول:[2]

أغار عليك من عيني رقيبي***ومنك ومن زمانك والمكان.

ولو أني خبأتك في عيوني***إلى يوم القيامة ما كفاني.

فهذه إذن حفصة الركونية المرأة المحبة، الغيورة التي جعلت من أبي جعفر وسام استحقاق لحبها، ومن تمت أصبح حبهما مكتوب بطرس من ذهب في بطون المصادر والمراجع الأدبية.

لكن قافلة الحب لم تتوقف عند حفصة الركونية فقط بل ظهر في الأفق القريب قصة نزهون الغرناطية التي تجعل من الرجل هي أيضا صورة من الكمال والجمال، فهي التي

[1] عيسى خليل محسن: أمراء الشعر الأندلسي،ط1،دار جرير للنشر والتوزيع،1428هـ،2008م،ص341.

[2] المرجع نفسه:ص341.

تفصح بصوت عالي عما يربطها بأبي جعفر بن سعيد كما تطمئنه على مكانته في قلبها قائلة:[1]

حللت أبا بكر محلا منعته***سواك وهل من عاشق وصديق.

وإن كان لي كم من حبيب فإنما***يقدم أهل الحق حب أبي بكر.

وكان هذا رد نزهون على أبي بكر بن سعيد حينما قام بالتعبير عن إعجابه بها قائلا:[2]

يا من له ألف خل***من عاشق وصديق.

أراك حليت للناس***منزلا في الطريق.

فبالإضافة إلى حفصة الركونية ،ونزهون الغرناطية، فقد أعلنت الشاعرة حفصة بنت حمدون الحجرية نسبة إلى واد الحجرة والتي كانت سليلاتها فعبرت عما يجوب في قلبها، وما يدور في خاطرها من تغزل اتجاه حبيبها إذ تقول:[3]

لي حبيب لاينثني بعتاب***وإذا ما تركته يزيد تيها.

قال لي: هل رأيت لي من شبيه***قلت أيضا: وهل ترى لي شبيها؟

وقبل أن نعرج على نساء، أخريات ممن أفصحن عن مشاعرهن، لا بأس أن نتوقف عند قصة الحب التي كان لها الباع الطويل في الساحة الأدبية والفنية في الأندلس.

قصة الحب بين ولادة بنت المستكفي و الوزير ابن زيدون، وما ترتب عليها من تأثير على هذا الأخير –ابن زيدون– والذي قضى عدة سنين في السجن، نتيجة ما فعله حب ولادة.

هذه الأخيرة التي تفصح عن حبها علنا وتكتب إليه متلهفة:[4]

---

[1] – السيوطي جلال الدين: نزهة الجلساء في أخبار النساء،ط1،مكتبة القرآن،القاهرة،مصر،ص84.

[2] – المقري التلمساني: نفح الطيب من الأندلس الرطيب، تح ،محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتاب العربي،بيروت،ج4،ص132.

[3] – سامي يوسف أبو زيد :الأدب الأندلسي،ط1،دار المسيرة، عمان، الأردن،1433ه،2012م،ص244.

[4] – المرجع نفسه:ص203.

ترقبْ إذا جـنَ الظـــلامُ زيــارتي***فإني رأيتُ اللّيـلَ أكتــتم للسـر

وبي منكَ ما لو كان الشمس لم تلُحْ***وبالبدر لم يطلعْ وبالليل لم يسرْ

وبعد أن حدث ما حدث بينهما من تبادل للمشاعر و الأحاسيس ،وعبر كل واحد منهما على ما يخالج صدره، أتت القطرة التي أفاضت الكأس بالنسبة لولادة والتي أحست، بأن ابن زيدون يخونها مع جاريتها" عتبة" فزفت له بأبيات تلومه فيها إذ تقول:[1]

لو كنتَ تنصفُ في الهوى ما بيننا*** لم تهوَ جاريتـي ولم تتــخير

وتركـــتَ غُصـناً مثمــراً بجمــاله***وجنحتَ للغُصن الذي لم يثمر

ولقــد علمتَ بأننـــي بدرُ السمـــا***لكن دُهيــتَ لشَقْوتي بالمُشتري

فمن خلال هذه الأبيات تتضح الغيرة الشديدة، التي كانت تكنها ولادة في قلبها، فلم تستطع بذلك إخفاء مشاعرها وأحاسيسها. وهكذا لحق الفراق بين الحبيبين، فبدأت الأحزان والتعاسة تدخل قلوب العاشقين وهذا ما جعل من ولادة تكتب أبيات تشكو فيها فراقه وقد غاب عنها، وانقطع على زيارتها:[2]

ألا هل لنا من بعد هذا التفــرق***سبيلٌ فيشكو كلُ صـــَب بما لقي

وقد كنتُ أوقاتَ التزاور في الشتا***أبيتُ على جمر من الشوق مُحرق

فكيف وقد أمسيتُ في حال قطعة***لقد عجل المقدورُ ما كنـــت أتَّقي

تمر الياليِ لا أرى البين ينقضــي***ولا الصـبرَ من رق التشوق مُعتقي

سقى الله أرضاً قد غَدَتَ لكَ منزلاً***بكل سكوب هاطــل الوَبْـل مُغدق

ولكن الشيء المثير هنا، أنه ليست المرأة الحرة الوحيدة التي كان لها الحق، في التعبير علم ما يخالج قلبها من حب ،ومشاعر، حيث كان للمرأة الجارية أيضا نصيب في الإفصاح

[1] سامي يوسف أبو زيد :الأدب الأندلسي،ط1،دار المسيرة، عمان، الأردن،1433هـ،2012م،ص204.

[2] السيوطي جلال الدين: نزهة الجلساء في أشعار النساء، د. ط ،مكتبة القرآن للنشر والتوزيع ،القاهرة،ج4،ص92.

والتعبير عن حبها، وألم الهوى، والشوق للحبيب. فهذه أنس القلوب جارية المنصور بن أبي عامر التي هامت بأب المغيرة بن حازم وعبرت عن حبها بهذه الأبيات الغزلية(الخفيف):[1]

قدم الليل عند سير النهار***وبدا والبدر مثل نصف سورا

فكأن النهار صفحـــة خد***وكأن الظلم خـــط عـــــذار

وكأن الكؤوس جامـد ماء*** وكأن المـــدام دائـــب نـــار

يا لقومي تعجب من غزال***جائر في محبتي وهو جاري

ليت لو كلن لي إليه سبيل***فأقضـــي من حبـــه أوطـار

فقد صورة أنس القلوب محبوبها ،وشبهته بالغزال فجعلت من التشبه، بالغزال الصورة المثالية التي يجب أن تكون عليها صورة الرجل، ومن بين الجواري أيضا التي تعبر أو تصف لنا حلوة لقائها بحبيبها نجد-عتبة-جارية ولادة وهي تقول:[2](الطويل)

أحبتنا إني بلغت مؤملي***وساعدني دهري وواصلني حبي.

وجاء يهنيني البشير بقربه*** فأعطيته نفسي وزدت له قبلي.

وهي الأبيات التي أوقدت نار الغيرة، بين ولادة وابن زيدون. والتي كانت السبب في نشوب الخلاف بينهما.

[1] -لمزري زينب: شعر الجواري في الأندلس-عصر ملوك الطوائف-،رسالة مقدمة لنيل شهادة الماستر في الأدب القديم، مخطوط المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف ،ميلة،2012م-2013م.

[2] -ابن بسام الشنتريني: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تح: إحسان عباس، د. ط ،دار الثقافة،بيروت،1997،ج1،ص431.

2- الرجل السلطان:

لم يتوقف تصوير المرأة الشاعرة للرجل، في كونه حبيب وفقط، بل قدمته في صور أخرى مجسدة في الرجل السلطان(الأمير)،فجعلت منه صورة للكمال، ورمز للعطاء.

حيث نجد الشاعرة أسماء العامرية وقد كتبت إلى عبد المؤمن بن علي فتقول:[1]

عرفنا النصـــر والفتح المبينا*** لسيـــدنا أمـــير المؤمنينا

إذا كان الحديثُ عن المعالي***رأيت حديثكم فينـــا شجونا

رويتم علمـــه فعلمتمـــــــوه***وفصنتم عهده فغدا مصونا

هذه الأبيات كتبتهم الشاعرة للملك ،وهي تشتكي له من ظلم وقع على أموالها، ومن خلال شعرها صورة لنا الأمير الذي لا تضيع عنده ودائع، وبالتالي اعتبر راية النص، وآية لحفظ رعياه والدفاع عمن تحت لوائه. وفي مقابل هذا الاحتفاء وجمال القول، احتفى بها مولاها وأكرم معاملتها على نحو ما عرف به من تكريم لمن يقصده.

أما من جهة أخرى فتطل علينا حفصة الركونية، المعروفة بشعرها المتأدب، حيث تقول ارتجالا وهي بين يدي الملك عبد المؤمن والتي كانت تعمل مؤدبة نسائه إذ تقول:[2]

يا سيد الناس يا من***يُؤْمَل الناس رفدَه

أُمْنُن علي بطـــرس***يكون للدهر عُدَه

تَخُـطُ يُمنـــاك فيـه***(الحمـــد لله وحده)

إن مقدرة الشاعرة على الوصول إلى قلب الملك، واستمالته نحوها، لخير دليل على المكانة والثقافة التي تتميز بها، خصوصا عند تقدمها للملك بطلب المال مستعملة في ذلك قدرتها

[1] - سامي يوسف أبو زيد: الأدب الأندلسي،ط1،دار المسيرة، عمان، الأردن،1433هـ،2012م،ص232 .

[2] - السيوطي جلال الدين:نزهة الجلساء في أشعار النساء،د.ط ،مكتبة القرآن للنشر والتوزيع ،القاهرة،ج4،ص41.

على التحكم في الألفاظ والمعاني، بكل ذكائها طلبة من ختم على ذلك المال المقدم حتى يبقى دليلا لها عند الحاجة.

كما نجد من جهة أخرى الشاعرة التميمية في أميرها عبد الرحمن الداخل حيث أنشدت فيه قصيدة تقول:[1]

إلى ذي الندى والمجد سارت ركائبي*** على شحَط تصـــلي بنـــار الهواجر

ليجبر صدعـــي إنه خيـــر جابـــر*** ويمنعنـــي من ذي الظُـــلامة جابر

فإنـــي وأيتـــامي بقبضـــــة كفـــه***كذي ريش أضحى في مخالب كاسر

إذ جعلت من الملك عبد الرحمن الداخل رمزا للمجد، راعيا للأيتام والمقهورين، من ظلم الملوك.

ثم استمرت المرأة الشاعرة في تصوير الرجل، وإعطائه أجمل المشاهد، مستلهمة ذلك من مخيلتها تارة، ومن الطبيعة الأندلسية الجميلة تارة أخرى. إذ لم تكن حفصة الركونية ومن سبقتها، إلى قول الشعر في عصر ملوك الطوائف الوحيدات التي جعلت الرجل ملكا على ملكه، وحام لعرشه ورعياه....وغيرها.

حيث نجد الشاعرة "الشلبية" وهي تشكوا أمرها ليعقوب المنصور أحد سلاطين الموحدين:[2]

قد أن أن تبكـي العيون الآبيـة***ولقد أرى أن الحجارة باكيـة

يا قاصد المصر الذي يرجى به***إن قدر الرحمن رفع كراهيـة

ناد الأميـر إذا وقفـت ببابـه:***ياراعيـا إن الرعيـة فانيـة

أرسلتهـــا هملاً ولا مرعـى لهـا***وتركتها نهب السباع العادية

"شلب "كلا شلب وكانـت جنـة***فأعادها الطاغون نارا حامية

حافوا وما خافوا عقوبة ربهـــم***والله لا تخفـى عليه خافيـة

[1] المرجع السابق: ص231 .

[2] - عيسى خليل محسن: أمراء الشعر الأندلسي،ط1،دار جرير للنشر والتوزيع،1428هـ،2008م،ص347.

وبالتالي صورة الشاعرة عيونها التي تمنعت البكاء لفترة طويلة، مرجعة ذلك؛ للظلم الذي لحق بها من قبل الطاغين، وكأنها فريسة وقعة في فم سبع ، فجعلت من الأمير(الملك) الراعي الذي لابد من حماية رعيته ، ومن هنا تثبت الشاعرة مقدرتها على قلب الموازين بفضل دهائها، وبراعتها في التحكم في الألفاظ والمعاني.

كما أن نزهون القلاعية سارت على درب الشاعرات الأخريات، إذ نجدها وهي تصف الملك أبو بكر عبد الملك بن سعيد الذي قال فيها معبرا عن شعبيتها بين جمهور المتأدبين، وغيرة منه من كثرة المعجبين بها، إذ يقول:[1]

يا من له ألف خل *** من عاشق وصديق

أراك خليت للنـاس *** منـــزلا في الطـريق

فردت عليه قائلة :[2]

حللت أبا بكر محـــــلا منعتـــه***سواك وهل غير الحبيب له صدري

وإن كان لي كم من حبيب فإنما***يقـــدم أهـــل الحق حب أبي بكر

إن نزهون قامت بتصوير الأمير، وجعلت منه صورة النقاء والصفاء، وذلك حينما شبهته بالخليفة أبي بكر الصديق.

[1] - عيسى خليل محسن: أمراء الشعر الأندلسي،ط1،دار جرير للنشر والتوزيع،1428هـ،2008م،ص329.

[2] – المرجع السابق:ص329.

3- الرجل الأب:

لعل الحرية التي متع الله سبحانه وتعالى المرأة ووهبها إياها،بعد أن كانت توأد حية،بالإضافة إلى تأثرها بجمال البيئة الأندلسية،من العوامل التي ساعدت المرأة على قرض الشعر،وتسطير نماذج نستطيع أن نقول من خلالها أن الكثير من الشعراء الرجال عجزوا عن مقارعتها ،وفك شفراتها.

وليس هذا فقط فإن هذه الحرية سمحت للمرأة، من التقرب والاختلاط بالرجل،كيف لا وهي من فرضت نفسها،وأصبح بمقدورها إدارة شؤون الدولة والمجتمع هذا من جهة،كما كان لها شأن في تسيير أمور الدولة السياسية والاقتصادية،الثقافية.....وغيرها.

ومن تمت فإن المرأة وبمخالطتها للرجل،والتقرب منه،ساهما بقسط كبير في إثراء مخيلة المرأة،وتوسيع قريحتها الشاعرة، فبعد أن قدمت لنا مجموعة من النماذج الفنية،والصور المثلى، التي يجب أن يكون عليها كل رجل، أراد أن يتبوأ مكانة مرموقة في قلب كل امرأة.

انطلاقا من صورة الرجل الحبيب،وصولا -إلى أجمل حلة-للكمال والجمال، ألا وهي صورة الرجل المجسدة في الأب،هذا الأخير الذي كادت مخيلة المرأة الأندلسية أن تعجز على القاف أجمل العبارات،والكلمات التي يمكنها من خلالها الإفصاح عما يخالج قلبها من مشاعر وأحاسيس،اتجاه هذه الصورة(الرجل الأب)، وهذا ما قدمته لنا بثينة بنت المعتمد(الرميكية) ،والتي اشتهرت" بالجمال البارع،والحسن الباهر،والحاضرة الجواب،والشريعة الخاطر"[1]كيف لا وهي من شهدت المجد والعز في عهد أبيها" المعتمد بن عباد"، لكن هذا المجد والعز لم يعمر طويلا،وذلك بسبب المكائد التي أكادوها له،ولأهله فأمسى شملهم في نحر وتفرقة،فسبي من سبي، ونفي من نفي ،وكانت من بين السبايا، بثينة بنت المعتمد.هذه الأخير التي تقول في أبيها عندما تقدم لها رجل أراد الدخول عليها،وهي تظهر له نسبها:"لا أحل لك إلا بعقد الزواج،إن رضى أبي بذلك،وأشارت عليه وعلى أبيه بتوجيه كتاب منها إلى أبيها،وانتظار جوابه"[2].

[1] - عيسى خليل محسن:أمراء الشعر الأندلسي،ط1،دار جرير للنشر والتوزيع،ص329.

[2] - المرجع نفسه:ص329

فمن خلال ما أثبتته "بثينة بنت المعتمد" لخير مثال عن وفاء المرأة للرجل،كيف لا وهو من أعطاه اسمه ونسبه،كيف لا وهو من جعل لها العز و الشرف،لعله الأمر الذي جعل من بثينة ،لا تنس مكانة أبيها،إذ تقول:[1]

اسمع كلامي واستمع لمقالتي***فهي السلوك بدت من الأجياد

لا تنكروا أني سُبيـــت وأنـي***بنت لملـــك من بنـــي عبـــاد

ملك عظيم قد تولى عصـــره***وكـــذا الزمـــان يؤول للإفساد

لما أراد الله فرقـــة شملنـــا***وأذاقنـــا طعـــم الأسـى من زاد

قام النفاق على أبي في حكمه***فدنا الفراق ولك يكـن بمرادي

ومن تمت فإن بثينة قدمت لنا درسا في الإخلاص للرجل(الأب)،مصورة إياه في أجمل صورة للعز والملك. وهذا راجع لوعي الشاعرة الأميرة بأحداث عصرها، وتقلب الدول،زيادة على ذلك أسباب هذه الإنقلابات والتبدلات. لكن تصوير بثينة للرجل لم يتوقف عند هذا الحد،إذ تقول في الرجل الذي اشترها عندما سبيت،وأراد منها أن تكون زوجة لولده حيث نجدها تقول:[2]

فخرجت هاربـــة فحازَنـــي امـرؤ***لم يأت في إعجـــالـه بسـداد

إذ باعنـــي بيـع العبيد فضمنـي***من صاننـي إلا مـن الأنكـاد

وأرادنـــي لنكـاح نجـــل طـاهـر***حسن الخلائق من بني الأنجاد

ومضى إليك يسوم رأيك في الرضا***ولأنت تنظر في طريق رشادي

لتمضي " بثينة" في رسم صور الوفاء والإخلاص، ممثلة ذلك في قدرتها على تصوير هذه الأحداث بأسلوب سهل، سلس رقيق، والتي تميز بها اختلاف طبيعة الرجال سواء من حيث

[1] -المرجع نفسه:ص335.

[2] - عيسى خليل محسن:أمراء الشعر الأندلسي،ص335.

السداد والتدبر في الأمور لبعض الرجال، أو لجهل الرجال وغبائهم في بعض الأحيان الأخرى.

ولما وصلت الرسالة إلى "بن عباد" فرح لأمرها،وزف لها برسالة يطلب فيها أن تكون ظلا لهذا الرجل،إذ يقول:[1]

بنيتي كوني له برة***فقد قضى الدهر بإسعافه

ومن ثمة تتجلى تربية الشاعرة، وثقافتها التي وهباها إياها أباها، فلم تستطع بذلك نسيان فضل ذلك عليها، وبالتالي مراسلته على الرغم من البعد بينهما. وكمثل الرجال الآخرين الغيورين على عرضهم وشرفهم،ونتيجة اضطلاعه على أمور الحياة ، طلب من ابنته أن تتزوج من هذا الرجل الذي أراد أن تكون زوجة له.

[1] - عيسى خليل محسن:أمراء الشعر الأندلسي،ط1،دار جرير للنشر والتوزيع،ص332.

1- الرجل الضحكة:

بعد أن عشقت المرأة الرجل، وجعلت منه حبيبا عشيق، وأعجبت به فرأته الأمير القائد مصورة إياه في الرجل السلطان، انتقلت الشاعرة بمخيلتها لتضع الرجل في موقف لا يحسد عليه مصورة إياه في الرجل المنبوذ بين أهل وأبناء عشيرته، جاعلة منه سخرية للملء.

وخير من أتقنت اللعبة وتقلدت هذه الصورة نزهون القلاعي من خلال ما وقع بينها وبين المخزومي الأعمى في أحد مجالس الوزير أبي بكر بن سعيد حين قالت مهاجمة إياه: "وتراك يا أستاذ قديم النعمة، بمجمر ند وغناء وشراب...."[1].كما تقول فيه أيضا:" ما كان يعلم إلا بالسماع، ولا يبلغ إليه بالعيان، ولكن من يجيء من حصن المدور-بلد المخزومي- وينشأ بين تيوس وبقر، ومن أين له معرفة بمجالس النعيم؟"[2]علم.
مع العلم أن المخزومي الأعمى لم يسلم منه ومن هجائه أهله وأسرته فكيف يسلم من قبحه شخص غريب عنه، وبعيد عن نسبه.

وهذا ما جعل من الشاعرة تتوقف عند قبح هذا الرجل وجبروته من أجل الحط منه ومن تعجرفه، ونكرانه للجميل، وجهله لمجالس النعيم.....وغيرها، فشبهته بتيوس وبغنم لا يفقه شيء إلا المرعى والقدح.

لكن هذا الرجل الشاعر لم يبق ساكنا، حيث قام بالسؤال عمن تكون؟ فقالت عجوز مقام أمك .فقال: "كذبت ما هذا صوت عجوز وإنما هذه نغمة...". ومن تمت فإن نزهون استمرت في السخرية من هذا الرجل ومن مظهره وعماه مصورته في أبشع الصور، وأقبحها. حيث قالت في هذا الأخير:[3]

إن كان ما قلت حقا*** من بعض عهد كريم
فصار ذكري ذميما***يعزي إلى كل لوم
وصرت أقبح شيء***من صورة المخزومي

---

[1]- عيسى خليل محسن:أمراء الشعر الأندلسي،ط1،دار جرير للنشر والتوزيع،1428هـ،2008م،ص329.
[2]- المرجع نفسه:ص329.
[3]- السيوطي جلال الدين:نزهة الجلساء في أشعار النساء،د.ط ،مكتبة القرآن للنشر والتوزيع ،القاهرة،ج4،ص85.

ولم تتوقف مخيلة نزهون المصورة للرجل في أقبح الصور وأبشعها، بل استمرت إلى أن وصلت للسخرية من "ابن قزمان" عندما كان يلقي أشعاره في حضرة أبي بكر بن سعيد، إذ قالت فيه ساخرة: "يا بقرة بني إسرائيل، إلا أنك لا تسر الناظرين".[1]

وبالتالي فإن نزهون صورته صورة البقرة الصفراء الدلول، فجعلت منه أضحوكة الحضور وسخرية السامعين. فجعلت من كعصف مأكول للعامة.

مشوارها مع الرجل يتواصل، وسخريتها منه أصبحت حديث العام والخاص في مملكة أبي سعيد، إذ تنتقل إلى موقف أخر مع الرجل، وقصتها مع أحد الثقلاء، حين قالت فيه ساخرة:

وذي شقوة لما رآني رأى له***تمنية أن يصلي معي جاحم الضرب

فقلت له كلها هنيئا فإنمـــا*** خلقت إلى لبس المطارف والشــرب

ومن تمت فإن قصة المرأة مع الرجل، لم تتوقف عند حد المحبة والتعظيم، كما كان شائعا قديما، حيث إن الحرية التي أولاها أيها الإسلام ،والمكانة المرموقة التي تبوأتها في قصور الملوك، سمح لها من التحرر، سواء كان ذلك في التعبير عن مشاعرها اتجاه معشوقها أوالتعبير عن ظلم وجبروت الرجل في حقها.

[1]- عيسى خليل محسن:أمراء الشعر الأندلسي،ط1،دار جرير للنشر والتوزيع،ص329.

خاتمة:

بعد الانتهاء من الدراسة الموسومة بعنوان: صورة الرجل في المخيلة الأنثوية الأندلسية– عصر ملوك الطوائف–توصلنا إلى مجموعة من النتائج هذه الأخيرة تبقى قابلة للبحث والتوسع ومن أهمها:

1. أن العصر الطوائفي العصر الأكثر احتضانا للمرأة، لما وفره من ظروف مواتية لذلك
2. ساهمت المرأة في نشر الأدب والعلم والغناء في المجتمع الطوائفي، بما تمتعن من ثقافة موسوعية.
3. وصفت الكثير من النسوة في العصر الطوائفي، بأنهن شاعرات، وأن لهن أخبار ولكن لم يبق لهن شعر غزير، ولم تكن لهن دواوين، وكل ما بقي لهن لا يزيد عن كونه أبيات مفردة ونتف، ومخطوطات قصيرة.
4. الحرية التي تمتعت بها المرأة في العصر الطوائفي، سمحت لها من الاحتكاك بالرجل ومقارعته في قرض الشعر.
5. أصبحت المرأة صاحبة المجالس والندوات الأدبية، بالإضافة لأمسيات السمر والغناء.

أما في الختام فإن موضوع المرأة وقصتها مع الرجل يبقى موضوعا مفتوح أمام الدارسين والباحثين من أجل التوسع فيه والغوص في أعماقه.

ملخص:

لم يقتصر الشعر على الرجال في الأندلس، في عصر ملوك الطوائف،بل كان للنساء كذلك حظ كبير من النشاط العلمي، حيث ظهرت العديد من الشاعرات الأندلسيات أمثال "ولادة" بنت المستكفي، حفصة الركونية، نزهون الغرناطية... وغيرهن، اللاتي كان لهن اليد الطويل في الشعر، فكان ذلك ملمحا شد انتباه الدارسين.

كما أن الحرية التي تمتعت بها المرأة، بالإضافة لسحر البيئة الأندلسية سمحتا لها بقرض الشعر،وبالتالي التغني بالرجل وتصويره أيما تصوير.

ومن تمت فإن موضوع المرأة يبقى موضوعا في حاجة للرعاية والبحث من قبل الباحثين والدارسين.

Summary:

Not only did the hair on the men in Andalusia, in the era of Taifa, but it was for women as well as the great fortune of scientific activity, where many of the poets featured the likes of Andalusia "birth" Almcetkvy girl, Hafsa Alrcnah, Enzeon Ahlgrenatih ..... . and others, who had their hand in long hair, and that was a feature of capturing the imagination of students.

The freedom enjoyed by women, in addition to the charm of the Andalusian Environment loan allowed by her hair, and thus the man mantras and filmed whatever filming.

It has been the subject of women remains a subject in need of care and research by researchers and scholars.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.برواية ورش عن نافع.

أولا –الكتب:

1. الآبار(أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي):التكملة لكتاب الصلة،تح: عزت العطار الحسيني،د.ط، مكتبة الخانجي،القاهرة،1475،ج4، الحلة السيراء، تح: حسين مؤنس، د.ط،دار المعارف،القاهرة،د.ت،ج2.
2. ابن بسام(أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني):الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة،ت. احسان عباس،د.ط، الدار العربية للكتاب،ليبيا،د.ط،د.ت،ج1.
3. ابن رشيق القرواني: العمدة في محاسن الشعر ونقده، ت، محمد محي الذين عبد الحميد،ط:دار الرشاد الحديثة،الدار البيضاء،د.ط،د.ت،الأجزاء1و2،ط1،مطبعة السعادة،مصر،1907.
4. إحسان عباس:تاريخ الأدب الأندلسي،الطوائف والمرابطين،ط1،دار الثقافة، بيروت
5. السيوطي،جلال الذين:نزهة الجلساء في أشعار النساء،ت،عبد اللطيف عاشور،ط:مكتبة القرآن،القاهرة،د.ط،د.ت،ج4.
6. المقري(أبو عباس أحمد بن محمد التلمساني):نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب،ت، يوسف الشيخ محمد

   البقاعي،ط1،بيروت،1998،الأجزاء1و2و3و4و5و6.
7. حنا الفاخوري: الجامع في تاريخ الأدب العربي،د.ط،الجيل للطبع والنشر والتوزيع، بيروت،2005.
8. صلاح جرار:قراءات في الشعر الأندلسي،د.ط،دار المسيرة للنشر والتوزيع،عمان، 2007.
9. محمد صبحي أبوحسين: صورة المرأة في الأدب الأندلسي،عصر الطوائف والمرابطين،ط2،عالم الكتب الحديث،الأردن،2005.

10.سعيد أحمد عزاب:أطياف من تاريخ الأدب العربي ونصوصه في الأندلس،ط1، دار العلم والإيمان،2010.

11.سهام عبد الوهاب الفريح: المراة العربية والإبداع الشعري،ط1،دار جرير،عمان، الأردن،1431هـ،2010م.

12.مصطفى السيوفي: تاريخ الأدب الأندلسي،ط1،الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، القاهرة،مصر،2008.

13.محمد درابسة: التلقي والإبداع، قراءات في النقد العربي القديم،دار جرير للنشر والتوزيع،عمان،الأردن،ط2010.

14.سامي يوسف أبو زيد:الأدب الأندلسي،ط1،دار المسيرة،عمان،الأردن،

15.ارسطو طاليس: الخطابة، ترجمة عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات بالكويت، دار القلم،بيروت،1997.

18.ابن عذاري:البيان المغرب في أخبار أهل الأندلس والمغرب،،ت.ج.س.كولان وليفيبروفستال، ط3،الثقافة،بيروت،1983،ج3.

19.رسائل ابن حزم الأندلسي: تج/د، احسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1987،1.

20.جانان عز الذين شبانة: الجواري وأثرهن في الشعر العربي في الأندلس

17.عيسى خليل محسن:أمراء الشعر الأندلسي،دار جرير للنشر والتوزيع،2008.

1962.

21.لمزري زينب: شعر الجواري في الأندلس، عصر ملوك الطوائف، رسالة لنيل شهادة الماستر في الأدب القديم،مخطوط المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف، ميلة ،2012م،2013.

22.هيام يوسف المجدلاوي: الزهد في الشعر العربي في القرنين الرابع والخامس الهجريين، درجة ماجستير في الأدب والنقد،إشراف:محمد صلاح أبو حميدة،جامعة الأزهر.

23.نافزة ناصر الشرباتي: اليهود وأثرهم في الأدب العربي في الأندلس،ماجستير في اللغة العربية،جامعة الخليل،حسن فليفل،2008.

الفهرس

مقدمة **1**

مدخل **5**

الفصل الأول: المرأة في الأندلس

1- المرأة و الحياة السياسية 9

2- المرأة و الحياة الاجتماعية 12

3- المرأة و الحياة الاقتصادية 16

4- المرأة في الحياة الثقافية 20

الفصل الثاني: صورة الرجل في المخيلة الأنثوية

1- الرجل الحبيب 26

2- الرجل السلطان 31

3- الرجل الأب 34

4- الرجل الضّحكة..... 37

خاتمة **40**

قائمة المصادر و المراجع **42**

ملخص **46**

فهرس الموضوعات